الفصل الخامس عشر

الدراسات عبر الحضارية في مجال الشخصية

مقدمة: لا تعيش المجتمعات منعزلة على نفسها، ولا يستطيع أي من هذه المجتمعات أن يعتمد على نفسه مستقلاً عما يحيط به من بشر في علاقاته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية. وأن الناظر لمختلف شعوب العالم من خلال مجموعة تلك العلاقات، ليجد اختلافاً بيناً بينها كما يجد تشابهاً كبيراً في نفس الوقت، لكننا لا نكاد نلمس ذلك بصورة دقيقة مفصلة بالنظرة السريعة أو الملاحظة العابرة. فهذا مجتمع أخذ منذ زمن بعيد بأساليب التكنولوجيا وصارت انجازاته فيه تتجاوز كل حد، وهذا مجتمع تقبع فيه الحضارة منذ آلاف السنين ويخطو الآن خطواته الأولى في سبيل تنمية موارده من أجل التقدم الفني ورخاء الناس. ونجد في نهاية الأمر مجموعة أخرى من الدول ما زالت تتطلع آمالها نحو التقدم.

والمجتمعات الكبيرة كالأفراد على حد سواء يحكم العلاقات بين بعضها البعض ما يحكم العلاقات بين الأفراد من معايير وقيم ومثل وأسس،

مواطنات (إمارات) وبين الأبناء من أمهات هنديات (من الهند) وذلك في صالح الأبناء من أمهات مواطنات حيث ان متوسطاتهن أعلى.

(٣) وجود فروق لها دلالة إحصائية بين الأبناء من أمهات مواطنات وبين الأبناء من أمهات إيرانيات (من إيران) عند مستوى ٠,٠٥، ٠,٠١، ٠,٠٠١ على جميع مقاييس المعاملة الوالدية وهي: التسلط، والحماية الزائدة والتدليل وإثارة الألم النفسي (في صالح الأبناء من أمهات مواطنات، والتفرقة) (في صالح الأبناء من أمهات إيرانيات).

(٤) وجود فروق لها دلالة إحصائية بين الأبناء من أمهات مواطنات والأبناء من أمهات مصريات (من مصر) على جميع مقاييس المعاملة الوالدية السابقة وفي صالح الأبناء من أمهات مواطنات ما عدا مقياس التفرقة فهو في صالح الأبناء من أمهات مصريات.

(٥) وجود فروق لها دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١، ٠,٠٠١ بين الأبناء من أمهات مواطنات والأبناء من أمهات شاميات (سوريات - ولبنانيات) على جميع مقاييس المعاملة الوالدية وفي صالح الأبناء من أمهات مواطنات ما عدا مقياس التفرقة فلم يوجدفرق دال بين المجموعتين عليه (٩٤).

وتعكس النتائج السابقة دور الحضارة التي تنتمي لها الأم في المعاملة الوالدية للأبناء.

(٩) دراسة مقارنة بين المراهقين بالريف والحضر والواحات في اتجاهاتهم نحو أساليب الأباء في التنشئة الاجتماعية: اجرى أحمد محمد أبو زيد (١٩٨٦) دراسة على ٣٠٠ مراهق بالمرحلة الثانوية في ريف الوجهين بالقاهرة والواحات بالوادي الجديد. وطبق عليهم اختبار إيرل شيفار لقياس اتجاهات الأبناء نحو أساليب الأباء في التنشئة الاجتماعية. وقد توصل إلى النتائج الآتية:

(١) توجد فروق دالة إحصائياً بين إناث الحضر وإناث الريف عند

TULIP LAIBRARY

وإن اختلفت هذه الأسس من ناحية الشكل. فتتمثل تلك الأسس التي تحكم العلاقات بين المجتمعات في صورة اتفاقيات ومواثيق ومعاهدات. لكن بالنسبة للأفراد فإن المعايير والقيم تكون متمثلة في نفوسهم وعقولهم وضمائرهم بحيث تسير العلاقات بين بعضهم البعض على أساس المعيار الجمعي. وإذا كان اجتماع الأفراد بعضهم بالبعض تحكمه بعض الصيغ والخصائص المشتركة كاللغة والدين والرقعة الجغرافية والهدف الواحد والقيمة الواحدة (هذه العوامل تعمل على تماسكهم وعدم تفككهم ووقوفهم أمام أي خطر خارجي، كما تعمل على دفعهم نحو التقدم والرخاء)، فإن الأمر لا يختلف أيضاً عن ذلك بين الشعوب بعضها البعض. فالتعاون بينها اقتصادياً أو سياسياً أو ثقافياً لا بد أن يقوم على أسس وركائز تكمن في الإجابة على هذا السؤال: ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين خصائص شعوب العالم المختلفة؟.

وأن البحث في هذه الخصائص من خلال المنهج الذي يصطنعه المتخصصون في علم النفس عبر الحضاري وهو «منهج الدراسات الحضارية المقارنة» ليمهد الطريق أمام الكثير من المؤسسات داخل تلك المجتمعات وأمام منظمات الأمم المتحدة لإرساء علاقات قائمة على أسس متينة بين الدول لو أخذت بنتائج تلك الدراسات. وأن الذي يدعو إلى إجراء المزيد من هذه الدراسات، ما يلاحظ في مجال العلاقات الدولية من إبرام لمعاهدات ثقافية أو تجارية بين أعضاء الدول سرعان ما تنتهي أو تلغى بانتهاء الحكومات التي أبرمتها. فكأنما إبرام هذه المعاهدات قد قام بين أشخاص هم الذين وقعوا عليها وليس بين مصالح مشتركة لشعبين كان من الضروري أن تعكسها بنود الاتفاقية لو كان قد سبقها إجراء مثل تلك الدراسات.

وقد اهتم علماء النفس في الدول المتقدمة بهذه الدراسات فأقاموا لها الجمعيات وأصدروا المجلات المتخصصة في نشرها. وأن حاجتنا لإجراء الكثير من هذه البحوث لا يقل في أهميته عن الأهمية التي يسعى علماء النفس في العالم لإجرائها من أجله، بل ويزيد على ذلك أننا في سعينا للاستفادة من

TULIP LAIBRARY

المناطق الريفية بكل من شمال وجنوب مصر كما تضمنت العينة الأولاد والبنات .

وقد أوضحت النتائج :

١ ـ أنه بالنسبة لصورة الذات وتقييم الذات لم توجد فروق بين العينة الحالية وبين ما هو معروف في الدراسات السابقة عن العينات الأمريكية والأوروبية .

٢ ـ وجد تداخل بين أهداف الأولاد الريفيين وأهداف الأولاد الحضريين لكنه وجد أن الأولاد الريفيين يذكرون رغبتهم في تملك الأرض وأن يتزوجوا ويكون لهم أطفال . وإنهم يستحقون أهدافهم لأن الله ووالديهم راضون عنهم (١٢٤) .

(٢) دراسة حضارية مقارنة على نتائج التحليل العاملي في الشخصية :

وقد قام بهذه الدراسة مصطفى سويف (١٩٦٥) ، وكان هدفها الدراسة الحضارية المقارنة لإطار إيزنك EYESNCK للشخصية. وذلك لمعرفة هل هذا الإطار في وصف سمات الشخصية يصلح لتنظيم سمات الشخصية في الظروف الاجتماعية الاقتصادية الحضارية التي تختلف عن الحضارة الأنجلو الأمريكية . وقد استخدم الباحث عدة مقاييس من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه ، ومقاييس جيلفورد ، ومقياس أعده الباحث نفسه (الاستجابات المتطرفة) على العينة المصرية . وقارن استجاباتهم على مقياس الشخصية المتعدد الأوجه باستجابات عينة الإنجليز ، كما يظهر في التحليل العاملي لمعاملات الارتباط بين الاختبارات الفرعية لقياس الشخصية . ولقد كانت المقاييس الفرعية المستخدمة من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه هي : الانحراف السيكوباتي ، والهستيريا ، السيكاثينيا والاكتئاب ومقياس الكذب ك .

والمقاييس الفرعية المستخدمة من مقياس جيلفورد هي : الأعراض الانهباطية والتقلبات الوجدانية ، والميل إلى الانطلاق والتخفف من الأعباء .

TULIP LAIBRARY

وقد تكونت عينة هذه الدراسة بالنسبة للإنجليز من ١٠٠ شاب، ١٠٠ شابة (١٩٥٧)، وبالنسبة لعينة المصريين بلغ العدد ١٣٦ من الشباب، ٧٩ من الراشدات. وقد أسفرت النتائج عن وجود عوامل عامة في العينتين وهما عاملي العصابية والانطواء. كما تبين وجود فروق جوهرية بين المصريين وبين الإنجليز. ويذهب الباحث إلى ضرورة إعادة النظر في عمليات التشخيص لانحرافات السلوك على أساس النظرة الكمية للاعراض المختلفة (٦٧).

(٣) دراسة عبر حضارية على المرضى السيكوسوماتيين :

قام جورج دي فوس Gorge De Vos (١٩٦١) بمقارنة سجل فلاح ياباني عنده قرحة بالاكتشافات الأكلينيكية الحديثة على مستهدف أمريكي بالقرحة Ulcer Prone .

وقد أوضحت نتائج الاختبارات على الفلاح الياباني تاكاو Takao أنه يرى نفسه شعورياً كقائد يهتم بالتقاليد والقيم الأسرية والعائلية ويتقمص تقاليد الساموراSamuria ، ويشير مظهره إلى سلوك طفلي، كما يعاني من نوبات صرعية. وقد أكد الفحص السيكاتري وجود قرحة في المعدة لديه. ويشكو من تحجر في الرئة وصداع وتصلب في الكتف، وهي شكوى منتشرة بين اليابانيين وقد كان تاكاو الابن الأكبر، ولذا فقد تحمل مسؤوليات العائلة بعد والده، وتزوج وعمره ٢٤ أربعة وعشرون عاماً. وقد قدم دي فوس ملخصاً لنتائج استجابات تاكاو على الرورشاخ كما يلي :

١ ـ كراهية ٤٪ .

٢ ـ قلق ١٤٪ .

٣ ـ انشغال بدني ٢٪ .

وسمى المجموعة السابقة بالمجموعة غير السارة والتي وصل عددها إلى ٢٠٪ .

٤ ـ اعتماد ٣٢٪ .

٥ ـ مشاعر إيجابية ١٠٪.

TULIP LAIBRARY

٦ ـ محايدة ٣٨٪ .

ويذكـــر دي فوس أن الشيء البارز في محتوى سجلات تاكـــار كان الاعتماد الرمزي. كما ذكر دي فوس ايضاً أنه على الرغم من أن هذا السجل لم يكن كبيراً، فإنه يتطابق مع نموذج المواد المأخوذة من المرضى الأمريكيين بالقرحة، خاصة الذين عولجوا بالعصير المهضم Pepsinogen والذيـن تشير حالتهم للقابلية للقرحة (Weiner١٩٥٧) .

ويقول دي فوس أن النسبة المئوية الكلية لمحتوى الاعتمادية (٣٢٪) في سجل تاكار تعتبر عالية بالمقارنة بالمعايير العادية لمحتوى الاعتمادية نظراً لشدة الحاجة إلى الاعتماد غير المحلولـة في شخصيـة تاكـار. وفي النهايـة يذهـب دي فوس إلـى القول بأن سجـل تاكـــار اليـــاباني يتفق بجدارة مع اكتشافات المحتوى الرمزي في المجموعة الأمريكية الإكلينيكية (١٢٥) .

(٤) دراسة عن التعرض لتأثير المدينة الحديثة وتسامح الآباء بحث حضاري مقارن لاتجاهات الشباب في خمسة بلاد عربية(٥)

يهدف هذا البحث الذي قام به محمد عثمان نجاتي (١٩٦٥) إلى دراسة أثر التعرض لتأثير المدينة الحديثة على اتجاهات ومشكـلات الشباب في البلاد العربية، وفي مقياس التعرض لتأثير المدينة الحديثة تم اختيار مواقف سلوكية لتكون موضوعاً لذلك القياس، فيما يلي أمثلة منها :

١ ـ التعلم في مدارس غربية .
٢ ـ كثرة الاحتكـــاك بأشخاص غربيين.
٣ ـ معرفة اللغات الغربية .
٤ ـ السفر إلى بلاد غربية .
٥ ـ مقدار التردد على دور السينما .
٦ ـ مستوى تعليم الأب والأم.

(٥) هذا البحث هو الذي أشرنا إليه في مقدمة الكتاب وكـان نواة لفكرة إنشاء جمعية البحوث الحضارية المقارنة في مصر والتي تولدت عام ١٩٥٦ .

TULIP LAIBRARY

وقد تمت صياغة عدد من الأسئلة لقياس الموضوعات السابقة، وقد تكونت وفقاً لذلك سبعة مقاييس. وإلى جانب ذلك تم إعداد مقياس تسامح الوالدين، وتختص أسئلته بحرية اختيار الأبناء لأصدقائهم والخروج معهم وبحرية تصرفهم في مصروفهم واختيار المهنة. وقد بلغ عدد أفراد العينة في مصر ولبنان والعراق وسوريا والأردن ٢٢٢٩ ألفين ومائتين وتسعة وعشرين طالباً في المدارس الثانوية (ن = ١٤٣٤) وفي الجامعة (ن = ٧٩٥).

وقد وجدت معاملات ارتباط دالة بين مقياس تعرض الأسرة لتأثير المدينة الغربية، وبين تسامح الوالدين في العينة المصرية بالنسبة لمجموعة المسلمين والمسلمات، والمسيحيين والمسيحيات، وفي العينة اللبنانية بالنسبة لمجموعة المسيحيين، وفي العينة السورية بالنسبة لمجموعة المسلمات، وفي العينة الأردنية بالنسبة لمجموعة المسلمين والمسيحيين (٣١).

(٥) دراسة عن بعض المتغيرات المرتبطة بالتسلطية في مجموعتين حضاريتين:

تجيب هذه الدراسة التي أجراها إيفون ميليكيان (١٩٦٥) عن عدة تساؤلات هي: هل العوامل المرتبطة بالتسلطية في حضارة تسلطية تفصح عن نفسها بنفس الطريقة التي نجدها في حضارة غير تسلطية؟، وهل تقل العلاقة بين التسلطية والقلق في حضارة تسلطية عن نفس العلاقة في حضارة غير تسلطية؟، هل تتوقف وجهة عداوة الشخص التسلطي نحو كل من الوالدين على السلطة التي تخلعها الحضارة على كل من الوالدين.

ومن أجل الإجابة على هذه التساؤلات طبق استبيان يقيس التسلطية والعداوة وتقبل الوالدين، على ٩٠ طالباً مسلماً بجامعة سـ وت، ٩٧ طالباً أمريكياً بروتستانتياً بجامعة كورنل وكولجيت بالولايات المتحدة الأمريكية. وبالنسبة للتساؤل الأول وجدت فروق دالة بين العينتين الحضاريتين على المقاييس الثلاثة وتشير إلى أن عينة جامعة بيروت أكثر تسلطية وعداوة من

TULIP LAIBRARY

العينة الأمريكية وأقل قلقاً منها . وبالنسبة للتساؤل الثاني وجد ارتباطاً دالاً بين التسلطية والعداوة (٠,٣٦) والقلق والعداوة (٠,٦٢) في عينة جامعة بيروت ، وبين القلق والعداوة (٠,٤٢) في العينة الأمريكية (٦٨) .

(٦) دراسة عبر حضارية بين المصريين والأمريكيين عن قلق الموت :

وضع دونالد تمبلر مقياس قلق الموت (١٩٦٧) Death Anxiety Scale DAS والذي يدور عن جوانب من الخبرات المرتبطة بالموت كالاحتضار والدفن والجثث ومن أسئلته : (١) أخاف بشدة من أن أموت ، (٢) نادراً ما تخطر لي فكرة الموت ، (٣) أخشى أن أموت موتاً مؤلماً ، (٤) يرعبني منظر جسد ميت . وقد استخدم (بشاي ، تمبلر) هذا المقياس عام ١٩٧٨ للمقارنة بين المصريين والأمريكيين في الاتجاه نحو الموت . وفكرة الموت عند الأمريكيين أساساً تتلخص في انكار الموت ، وعدم السماح لأنفسهم بتعدي الطقوس المعهودة في التعبير عن اسمهم ، أما فكرة الموت عند المصريين أساساً فإنهم مشغولون بالحداد والفقدان والتأثر بالتقاليد المصرية القديمة ، ووجود الندابة وصفحة الوفيات بالصحف . وقد ترجم المقياس إلى العربية ثم أعيد ترجمته إلى الإنجليزية للتأكد من وجود نفس المعنى في العبارات وقد طبق على ٤٩ مبحوثاً امريكياً من الذكور الذين يعملون في ميدان الصحة العامة وعلى ٤٥ مبحوثاً مصرياً يعملون في مجال الطباعة بمؤسسة دار الهلال . وقد وجد أن المصريين في هذه الدراسة أكثر قلقاً من الموت بالمقارنة بنظرائهم من الأمريكيين (١٠) .

(٧) دراسة عبر حضارية لأفكار الأطفال عن الموت :

قام كل من واس هانلور Wass Hannelore ، ونستام كليسجرام Wenestam Claesgorom (١٩٨٦) بدراسة النواحي الكيفية لأفكار الأطفال عن الموت من خلال المنظور عبر الحضاري ، حيث يتم التداعي عندما

TULIP LAIBRARY

يعرض على الأطفال منبه يتمثل في كلمة «الموت»، ثم تتم دراسة استجاباتهم لهذا المنبه بعد ذلك.

وقد بلغت العينة ١٨٨ طفلاً تقع اعمارهم بين ١١ ـ ١٦ عاماً بمتوسط ١٣,٨٨ وانحراف معياري ١,٦٩ في ثلاث حضارات هي الولايات المتحدة واليونان والسويد. وقد طلب من الأطفال أن يقوموا برسم ما يظهر في ذهنهم عندما يسمعون كلمة «موت»، كما طلب منهم أن يعلقوا تعليقاً مختصراً على الرسم الذي قاموا بعمله. ولقد أجري التحليل للكشف عن الفروق الكيفية والتشابه في الرسوم. ولقد حددت خمسة أوصاف للحكم على الرسم:

أ ـ الموت كجزء أساسي من الحضارة.

ب ـ الموت موضوع في سياق ديني.

جـ ـ الموت كتهديد.

د ـ الموت كنتيجة لقوى مدمرة.

هـ ـ ردود فعل انفعالية.

و ـ طبيعة الموت والوفاة.

وقد وجدت علاقة دالة بين هذه الفئات وبين القومية. ففي الفئة (د) وجد أن التداعي لدى الأوروبيين يتمثل في موضوعات وقضايا مثل الحرب والنواحي الاجتماعية، في حين أن الموضوعات لدى الأطفال الأمريكيين كانت محلية وتختص بحوادث السيارات والاغتيالات والسرقة (٢١٠).

(٨) دراسة استطلاعية مقارنة لمشكلات الفتاة في مرحلة المراهقة في المجتمع القطري والبحريني والمصري والأمريكي:

سعت هذه الدراسة التي قامت بها صفاء الأعسر (١٩٧٨) إلى الكشف عن أوجه الشبه والاختلاف في مشكلات المراهقة لدى الفتاة في المجتمع القطري والبحريني والمصري والأمريكي. وبالنسبة للمجتمع القطري والمجتمع البحريني فقد قامت الباحثة بجمع البيانات عنهما، وإجراء المقارنة بينهما، من منطلق دخول التعليم في البحرين قبل قطر ونسبة توطين الوظائف

TULIP LAIBRARY

في البحرين أعلى من قطر. أما بالنسبة للعينة المصرية فقد استعانت ببيانات بحث منيرة حلمي (١٩٦٥). وحصلت على بيانات العينة الأمريكية من الدراسات التي أجريت بأمريكا باستخدام قائمة موني Mooney للمشكلات وهي نفس الأداة المستخدمة في العينات الثلاث الأخرى (المصرية ـ القطرية ـ البحرينية)، وستأتي الإشارة إليها في: «دراسة المؤلف المقارنة لمشكلات المراهقة في أربع بلاد عالمية». ونستخلص من النتائج التي عرضتها الباحثة لمتوسط عدد المشكلات في مجالات قائمة موني ما يلي:

(١) إن مجال المشكلات الانفعالية لدى المراهقة المصرية والبحرينية يأخذ المرتبة الأولى في المشكلات لديهن، في حين أنه يأتي في المرحلة الثانية لدى العينة الأمريكية، وفي المرتبة الخامسة لدى العينة القطرية.

(٢) إن مجال المشكلات الدينية والأخلاقية يأتي في المرتبة الثانية لدى المراهقة المصرية والقطرية، وفي المرتبة التاسعة لدى العينة الأمريكية، وفي المرتبة الثالثة لدى العينة التجريبية.

(٣) إن المشكلات الخاصة بالعمل المدرسي يأتي في المرتبة الأولى لدى العينة الأمريكية والقطرية، وفي المرتبة الثانية لدى العينة التجريبية، وفي المرتبة الثالثة لدى العينة المصرية.

(٤) إن المشكلات الخاصة بأوقات الفراغ تأتي في المرتبة الرابعة لدى كل من العينتين المصرية والقطرية، وفي المرتبة السادسة لدى كل من العينتين الأمريكية والبحرينية.

(٥) إن مشكلات المنهج والدراسة يجيء في المرتبة الثالثة لدى العينتين الأمريكية والقطرية، وفي المرتبة الخامسة لدى العينة المصرية، وفي المرتبة التاسعة لدى العينة التجريبية.

(٦) إن مشكلات التوجيه المهني تأتي في المرتبة السادسة لدى كل من العينتين المصرية والقطرية، وفي المرتبة الرابعة لدى العينة الأمريكية، والمرتبة الخامسة لدى العينة البحرينية.

TULIP LAIBRARY

(٧) تأتي المشكلات الصحية في مرتبة واحدة هي الثامنة لدى العينتين القطرية والبحرينية، وتقع في المرتبة السابعة لدى العينة المصرية، والمرتبة الثامنة لدى العينة الأمريكية.

(٨) تحتل مشكلات التوافق الاجتماعي مراتب مختلفة في العينات الأربعة: في المرتبة الرابعة لدى العينة البحرينية، والخامسة لدى الأمريكية، والسابعة لدى القطرية، والثامنة لدى المصرية.

(٩) وتأتي مشكلات الأسرة في العينة القطرية في المرتبة الثامنة وفي العينة المصرية في المرتبة التاسعة، وفي العينتين الأمريكية والبحرينية تأتي في المرحلة العاشرة.

(١٠) تأتي المشكلات المالية في المرتبة العاشرة لدى العينة المصرية والقطرية وفي المرحلة السابعة لدى العينة القطرية والعينة الأمريكية (٢٩).

(١١) ونقدم في الجدول (١٥) الآتي خلاصة ما سبق من ترتيب للمشكلات لدى كل عينة من العينات الأربع:

جدول (١٥) عن المقارنة في مشكلات المراهقة بعدة حضارات

رقم	المشكلات	مصرية	أمريكية	قطرية	بحرينية
١	الانفعالية	١	٢	٥	١
٢	الدين والأخلاق	٢	٩	٢	٣
٣	العمل المدرسي	٣	١	١	٢
٤	أوقات الفراغ	٤	٦	٤	٦
٥	المنهج والدراسة	٥	٣	٣	٩
٦	التوجيه المهني	٦	٤	٦	٥
٧	المشكلات الصحية	٧	٨	٩	٨
٨	التوافق الاجتماعي	٨	٥	٧	٤
٩	الأسرة	٩	١٠	٨	١٠
١٠	المالية	١٠	٧	١٠	٧

TULIP LAIBRARY

وقد وجد المؤلف (محمود أبو النيل) إمكانية حساب معامل الارتباط بين ترتيب هذه المشكلات في كل بلد من البلاد الأربعة والأخرى وذلك باستخدام معامل ارتباط الرتب لسبيرمان Spearman'S Ranking Correlation Cofficient فكانت النتائج كما يلي:

(أ) معامل الارتباط بين العينة المصرية والأمريكية ٠,٤٨.

(ب) معامل الارتباط بين العينة المصرية والقطرية ٠,٨٢.

(جـ) معامل الارتباط بين العينة المصرية والبحرينية ٠,٧٠.

(د) معامل الارتباط بين العينة الأمريكية والقطرية ٠,٤٩.

(هـ) معامل الارتباط بين العينة الأمريكية والبحرينية ٠,٥٤.

(و) معامل الارتباط بين العينة القطرية والبحرينية ٠,٥٨.

(١٢) وتعكس معاملات الارتباط السابقة قوة العلاقة بين شعوب العالم العربي فأعلى معاملات الارتباط بين مصر وقطر والبحرين (٠,٨٢، ٠,٧٠، ٠,٥٨)، وأدنى هذه الارتباطات تكون بين هذه الشعوب وبين أمريكا (٠,٥٤، ٠,٤٩، ٠,٤٨).

(٩) دراسة مسحية للمخاوف الشائعة لدى عينة من القطريين وغير القطريين من الجنسين:

أجرى هذه الدراسة جابر عبد الحميد (١٩٧٨)، وقد هدف البحث إلى الإجابة عن عدة تساؤلات: يهمنا منها ما يتصل بهل تختلف مخاوف الطلاب والطالبات باختلاف الثقافات العربية والفرعية قطرية وغير قطرية؟. وقد تألفت عينة البحث من ٢٠٤ طلاب وطالبات من مدارس مدينة الدوحة الإعدادية والثانوية من القطريين وغير القطريين بالسنوات الثالثة الإعدادي والأولى الثانوي وتراوحت أعمار عينة القطريين بين ١٢ - ١٥ عاماً، وعينة غير القطريين بين ١٣ - ١٨ عاماً. وطبق على هذه العينة قائمة مسح المخاوف Fear Survey Schednel لجير I. H. Jeer (١٩٦٥) وتتكون من ٥٠ خمسين عنصراً من الأشياء المختلفة التي قد تثير الخوف لدى الإنسان وتقدم

TULIP LAIBRARY

هذه القائمة للشخص ليحدد بنفسه درجة خوفه من كل من هذه الأشياء على مقياس تقدير مكون من سبع درجات . وقد خففت في الدراسة الحالية إلى خمس درجات ومن هذه المخاوف:

١ ـ الأشياء الجادة .
٢ ـ أن أكون مسافراً في سيارة .
٣ ـ الجثث .
٤ ـ الاختناق .
٥ ـ الموت .
٦ ـ الدم .
٧ ـ العنكبوت .
٨ ـ الكلاب الغريبة .
٩ ـ فقدان العمل .
١٠ ـ حوادث السيارات .

وقد اتضح من النتائج أن متوسط درجات الطلاب القطريين في المخاوف اقل من متوسط درجات الطلاب غير القطريين وكان الفرق غير دال إحصائياً . وقد وجدت فروق دالة بين الطالبات القطريات وغير القطريات على ثمانية مخاوف ، وأن درجات غير القطريات ، أعلى على هذه المخاوف من درجات القطريات ، وهذه المخاوف هي :

الحياة بعد الموت ، أن اترك وحيداً ، الدم ، أن يتعرض من أحب للمرض أو الاصابة ، المرض العقلي ، العنكبوت العاصفة الرعدية ، الكلاب الغريبة (١٤) .

(١٠) دراسة مقارنة في الشخصية القطرية والعراقية والمصرية والأمريكية :

أجراها جابر عبد الحميد (١٩٧٨) واستند في دراسته هذه إلى رأي «علي الوردي» في أن الصراع بين البداوة والحضارة يختلف في نمطه وشدة

TULIP LAIBRARY

تفاعله من قطر إلى قطر آخر في الوطن العربي وبصنف الأقطار العربية إلى ثلاثة أنواع هي :

١ ـ الأولى : توجد فيه الحضارة والبداوة جنباً إلى جنب كالعراق .

٢ ـ الثاني : تكون فيه البداوة أشد وأكبر تأثيراً من الحضارة كقطر .

٣ ـ الثالثة : تكون فيه الحضارة أقوى تأثيراً وتغلغلاً في الحياة الاجتماعية من البداوة كمصر .

وقد اختار الباحث إضافة إلى العينة المصرية والعراقية والقطرية عينة ثالثة هي العينة الأمريكية . وقد استهدف من وراء ذلك زيادة التباين في عينات البحث بغية التعرف على كيفية تأثير اختلاف الحضارة على السلوك الإنساني . وقد تضمنت العينة القطرية ٦٧ سبعة وستين طالباً يدرسون في الفصل الدراسي السادس والسابع عامي ٧٦، ١٩٧٧، ومتوسط أعمارهم ٢٢,٥٤ . وتألفت العينة المصرية من طلاب الصف الرابع بكلية المعلمين بالقاهرة وقد بلغت ١٤٤ طالباً ومتوسط أعمارهم ٢١,١٤ عاماً . وقد بلغت العينة العراقية ٩٤ أربعة وتسعين طالباً بكلية التربية جامعة بغداد وكان متوسط أعمارهم ٢٢,٢١ عاماً . أما بيانات العينة الأمريكية فقد أخذت من دراسة «والترتوبن» في جامعة واشنجتون . وقد طبقت على عينات البحث قائمة أدواردز للتفضيل الشخصي Edwards Personal Preference Schedule والتي تهدف إلى تقدير عدد من متغيرات الشخصية السوية مستقل كل منها عن الآخر نسبياً وتستند إلى قائمة الحاجات الظاهرة التي حددها هنري موري مثل : التحصيل ، الخضوع ، النظام ، والاستعراض ، الاستقلال ، التواد ، تأمل الذات ، المعاضدة ، السيطرة ، لوم الذات ، العطف ، التغيير ، التحمل ، الجنسية الغيرية ، العدوان .

وقد كشفت نتائج المقارنة بين المصريين والقطريين إلى تشابههما في أربع عشرة حاجة نفسية ما عدا الحاجة إلى النظام إذ وجد فرق دال بين العينتين عليه بما يشير إلى أن العينة القطرية تميل أكثر من العينة المصرية إلى أن يرتب الفرد عمله وحياته الشخصية .

TULIP LAIBRARY

كما كشفت النتائج كذلك على أن تكوين الشخصية في العينة القطرية مشابه لتكوين الشخصية في العينة العراقية في إحدى عشرة حاجة نفسية ما عدا حاجات: الاستقلال، والمعاضدة، والسيطرة، لوم الذات. فالقطريون يميلون إلى التعبير عن الحاجة للاستقلال بصورة أكبر من العراقيين، في حين أن العراقيين يميلون إلى التعبير عن الحاجة للمعاضدة Succorance بصورة أكبر من القطريين، وبالنسبة للسيطرة نجد أن متوسط درجات القطريين أعلى من متوسط درجات العراقيين (١٥).

(١١) دراسة مقارنة عن نمو المراهقة في كل من المجتمعين القطري والإنجليزي باستخدام طريقة تكميل الجمل:

قام بها جابر عبد الحميد (١٩٧٨) أيضاً. وقد هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أوجه الشبه في نمو المراهقة بين العينة القطرية والعينة الإنجليزية. وقد تألفت العينة القطرية من ١١٥ مائة وخمسة عشر مراهقاً من الصف الثالث الإعدادي بمتوسط عمر ١٦,٠٦ عاماً، والثالث الثانوي بمتوسط عمر ١٨,٩ عاماً، والفصل الدراسي السابع بكلية التربية للمعلمات بجامعة قطر بمتوسط عمر ٢٠,٨ عاماً. وتتكون العينة الإنجليزية من ١٥٣ مائة وثلاث وخمسين مراهقة من السنة الأولى الإعدادي بمتوسط عمر ١١,١٠ عاماً، والسنة الثالثة الإعدادي بمتوسط عمر ١٣,٩ عاماً، والثالثة الثانوي بمتوسط عمر ١٦,١٧ عاماً.

وقد استخدم في هذه الدراسة اختبار تكملة الجملة Sentence Completion الذي وضعه كولمان Colman واستهدف منه أن يتناول بعض الجوانب الأساسية في علاقة المراهق بالآخرين وبنفسه، وتصنف عباراته إلى أربعة مواقف أساسية هي:

(١) الأول: يتناول الفرد منعزلاً.

(٢) الثاني: يتناول علاقة الفرد بآخر (شخصيان).

(٣) الثالث: يتناول علاقة الفرد بآخرين (ثلاثة أشخاص).

TULIP LAIBRARY

الفصل الحادي عشر

الذكاء والقدرات العقلية

في إطار الحضارة

مقدمة: يلقى تفكير الإنسان ودوافعه اهتماماً خاصاً في علم النفس اليوم. فعند محاولة عالم النفس فهم السلوك الاجتماعي للإنسان فإن هناك سؤالين لا بد من أن يجيب عنهما: السؤال الأول هو، ما الذي يحرك الناس للعمل في ذلك العالم الاجتماعي الذي يعيشون فيه؟ والسؤال الثاني، كيف يستطيعون تنظيم واعطاء معنى له؟. وأن محاولة الاجابة عن هذين السؤالين تقتضي توافر معلومات عن كيفية تكيف الإنسان مع عالمه الطبيعي، إذ أن الإنسان في تكيفه هذا يفكر ويستقريء ويدرك، ويتذكر ويتخيل ويستجيب من خلال العمليات المعرفية الأخرى Cognitive Process، وكل عملية من هذه العمليات لها خصائصها التي تتميز بها عن بعضها البعض. إلا أن هناك خصائص عامة مشتركة بين هذه العمليات جميعاً، فالعوامل التي تحدد إدراكنا لموضوع ما تؤثر أيضاً في تفكيرنا وفي ذاكرتنا وفي أحكامنا. وفي مناقشتنا التالية سوف نتكلم عن الإدراك Perception من حيث خصائصه، ويكون معلوماً أن تحليلنا للإدراك ينطبق على العمليات المعرفية الاخرى.

TULIP LAIBRARY

محددات العمليات العقلية، الإدراك كمثال: من المتفق عليه عامة الآن ان تكوين المدركات لدى الإنسان ترجع لمجموعتين من المحددات: أولهما، العوامل الخاصة بالمنبه Stimuls Factors ، وثانيتهما العوامل السلوكية Behavioral Factors والخاصة بالفرد. ويقصد بعوامل المنبه خصائص المنبه نفسه، وقد يكون هذا المنبه الناس الآخرين في المجتمع، وقد يكون الموقف أو المجال الاجتماعي، وقد يكون صوراً واشكالاً وكلمات. ويقصد بالعوامل السلوكية العمليات النفسية كالقيم والاتجاهات والحاجات وخبرات الفرد الماضية. وانه لمن المهم جداً ان نشير إلى ان وجهة النظر هذه بالنسبة للعمليات المعرفية تعكس الاتجاه العام لدى علماء النفس الاجتماعي وعلم النفس عبر الحضاري. إذ ان ما يقوم به الناس من فعل يعتمد على العمليات النفسية لديهم، وعلى طبيعة الموقف الخارجي المتضمن في حضارة الإنسان. وان اهتمام عالم النفس بالطريقة التي يدرك بها الناس الأشياء أدى به لاستخدام اصطلاح «الإدراك الاجتماعي Social Perception» والذي يختلف العلماء في النظر إليه (ماكلويد ١٩٥٠) فالبعض يركز على خصائص الفرد أي المحددات السلوكية التي سبق الإشارة إليها، والبعض الآخر يركز على ما هو اجتماعي وحضاري. وان ما يستحق التأكيد هنا أن المدركات تتكون من تفاعل عوامل السلوك وعوامل المنبه. ومهما يكن ذلك فلكي نفهم دور كل مجموعة من هذه المحددات في الإدراك فلا بد من بحث وتحليل كل منهما على حدة.

(أ) المحددات السلوكية: تعتبر كل من الخبرة الماضية التي يمر بها الإنسان والدوافع والمشاعر والرغبات من المحددات السلوكية. وخبرات الإنسان الماضية تعتبر محدداً هاماً في الإدراك لأنها توجهه وتعطيه معاني معينة، ليس ذلك فقط، بل توجهه لأنواع معينة من الأحداث في مجاله الاجتماعي والحضاري، ويتأثر إدراك الفرد بنوع الخبرة التي يمر بها. فالفرد الذي يكون له خبرة سارة حديثة الوقوع من المحتمل رؤيته في المناسبة التالية في حالة نفسية تختلف عن الفرد الذي تكون لديه خبرات غير سارة. كذلك

TULIP LAIBRARY

الأمر فإن كلمة مثل: Capsule إذا نظر إليها على انفراد فمن المحتمل أن يكون لها عدة معان «غلاف» عند الفلكي، ومعنى «وعاء» أو «عبوة» عند الصيدلي من ناحية أخرى.

ولقد ركز بارتلت Bartlett في دراسته على الخبرة الحضارية لدى الفرد، وذلك للدور الذي تلعبه هذه الخبرة في رؤية الأفراد وأبناء الحضارة المعينة للأحداث التي يكون لها معنى خاص بالنسبة لهم. وقد قام تلاميذ بارتلت لإثبات ذلك بإعداد عناصر لقصة من حضارة أخرى في شكل يعكس بعض الجوانب الخاصة في خبراتهم الحضارية. ويرجع أثر الحضارة أو الخبرة الماضية عموماً في إدراك الأفراد أو في تذكرهم لموضوع ما أو أحداث معينة لاحتكاكهم ومخالطتهم بالناس والأحداث والأشياء. وتلك العملية الأخيرة تنتظم في ذهن الإنسان على هيئة مدركات وأفكار ومعتقدات تشبه الأبنية المعرفية والتي تؤثر في الاستجابات المعرفية التالية للإنسان وفي سلوكه الظاهر. وعلى هذا النحو فإن الخبرة الثقافية للمبحوثين الذين أجرى عليهم بارتلت تجاربه تؤثر في ذاكرتهم إذ قاموا بتبسيط وتنظيم عناصر معينة من القصص بطريقة تتسق ووجهة نظرهم الخاصة عن العالم (١٢٩).

كذلك الأمر بالنسبة للدراسة التي قام بها المؤلف والتي بينت أن الذكاء لدى الطفل الصغير أيضاً يتأثر بالوضع الاقتصادي والمعيشي للأسرة التي ينتمي لها أي بحضارته الفرعية. فإذا أتاحت له أسرته إمكانيات واسعة وكبيرة وحديثة من أجهزة وأدوات وسيارات وتليفزيون وتليفون وصارت أشياء تحيط به، وتستثير إدراكه، وتلهب مشاعره وحواسه وتنمي معارفه، وتعلو به قيمياً، كان ذكاؤه كما بينت هذه الدراسة أعلى من مستوى ذكاء الأطفال الذين تخلو بيئتهم من هذه الأشياء (٥٥).

وفي مقابل ذلك كانت دراسة سيد خيري التي بينت عدم وجود فروق لها دلالة إحصائية بين تلاميذ المدارس الإعدادية في القاهرة والوجهين القبلي من ناحية، والبحري من ناحية أخرى، وذلك بتطبيق اختبار الذكاء على عينة كبيرة منهم (١).

TULIP LAIBRARY

والمجموعة الأخرى من المحددات السلوكية التي تؤثر في العمليات المعرفية هي دوافع الإنسان، فرغبات الإنسان ومشاعره توجهه لإدراك جوانب معينة في الموضوع أو في الموقف عن غيرها. والاتجاهات تعتبر أيضاً كقيم الفرد واهتماماته، هي حالات نفسية تحرك الفرد للعمل بتأثير من دوافعه، ونتيجة لذلك فإنها تؤثر فيما يرى ويفكر ويتذكر. وأن الأساس الذي تقوم عليه خصائص البناء النفسي للإنسان يتمثل في العلاقة المتبادلة بين الدوافع والعمليات المعرفية والفعل Action، لأن العمليات العقلية هي التي توجه ما يقوم به الإنسان من عمل، وهي التي تحفزه إليه في المقام الأول.

ولقد أوضح الكثير من الدراسات أيضاً تأثير الاتجاهات والقيم على التعلم الإنساني. وفي دراسة قام بها ليفين وميرفي Levine & Murphy عام ١٩٤٣، وجد أن الطلبة الموالين للشيوعية والمضادين لها With & Anti Communist تعلموا وحفظوا الجمل التي كانت مناسبة لاتجاهاتهم عن الجمل التي تسير ضد اتجاهاتهم.

(ب) محددات المنبه: وبالنسبة للمنبه هناك الكثير من خصائص المنبه الاجتماعي Socinl Stimulus مثل الشدة والحداثة، والتضاد والتكرار والحركة والتي يمكن أن توجه إدراكنا والمثال على ذلك أن الطفل الزنجي Negre الموجود وسط مجموعة كلها من البيض يمكن رؤيته بسهولة كبيرة، كما أن الصوت المرتفع في جماعة المناقشة يجذب الانتباه.

وهناك أيضاً الخصائص التنظيمية للمنبه والتي تؤثر في إدراكنا للموضوعات الاجتماعية وتتمثل هذه الخصائص في القرب Proximity وفي التشابه Similarty، وفي اللون والحجم، ونفس الشيء الذي ينطبق على المنبه الخارجي من أشياء، وأجسام تنطبق على الأفراد الذين يمكن إدراكهم على أساس أنهم يتصلون بعضهم ببعض نظراً لتقاربهم المادي (مثل الناس الذين يعيشون في نفس المنزل)، أو نظراً لتشابههم المادي (مثل الناس الذين يكونون متشابهين في لون الشعر) (١٢٩).

TULIP LAIBRARY

الذكاء والقدرات العقلية في إطار الحضارة : ويرجع الاهتمام بعلاقة الذكاء والقدرات بالحضارة إلى أن المفهوم القديم للذكاء كان يركز على أن الذكاء عبارة عن شيء يتحدد عند الحمل شأنه شأن نوع المولود ذكراً كان أم أنثى ، لكن التعريف الحديث يركز على أن الذكاء هو القدرة على حل المشكلات ، وهذه القدرة ليست بسيطة ، بل عبارة عن تنظيم هرمي من قدرات اكتسبت وراء بعضها البعض بحيث تنضم الأخيرة إلى تلك التي اكتسبت قبلها . وفي نهاية الأمر نجد أن هذا التعريف يعني أن الطفل لا يوهب ذكاء جاهزاً بل يوهب قدرة عقلية وعليه أن يتعلم كيف يتعلم (Hunt, J. M.) .

ومعنى هذا أيضاً أن العوامل البيئية والسياق الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد يلعب دوراً كبيراً في تنبيه واستثارة هذه القدرة مثل الحالة الصحية والجسمية ومستوى التعليم والطبقة الاجتماعية الاقتصادية للفرد ، والجماعات الاجتماعية التي ينتمي إليها (٥٨) .

أثر سوء التغذية كعامل حضاري على السلوك : يدخل في إطار الحضارة المستويات الاجتماعية الاقتصادية والبيئة الأيكولوجية Ecology الطبقية . وقد اهتم الكثير من البحوث بأثر سوء التغذية لدى أبناء المستويات الاجتماعية الاقتصادية الفقيرة في الذكاء والقدرات العقلية .

ويمكن تعريف سوء التغذية Malnutrition بعدم كفاية السعرات الحرارية الموجودة في الغذاء والتي تمكن الجسم من القيام بوظائفه (Kallen 1973) . وتشير التقديرات إلى أن من ٥٠ - ٨٠٪ من الأطفال في سن ما قبل المدرسة في البلاد النامية يعانون من سوء التغذية في البروتين (Edozien 1970) ويظهر ذلك في أعراض تتمثل في انحرافات في الوزن والسمنة وتغيرات في الشعر وفي الجوانب الحيوية والكيميائية للجسم (١٦٦) .

ويحتاج الإنسان يومياً ما بين ٢٤٠٠ - ٢٥٠٠ من السعرات الحرارية وذلك من تناول الأغذية المختلفة . وفي السنوات العشر الأخيرة (١٩٧٠ - ١٩٧٩) بلغ عدد ضحايا المجاعات ٤٥٠ مليون إنسان حيث لا يحصل الواحد

TULIP LAIBRARY

منهم إلا على ١٦٠٠ من السعرات الحرارية ويشير هذا إلى أنهم يعانون من المجاعة ، وتؤثر المجاعة بهذه الصورة على أعمارهم . وفيما يلي بيان يوضح ما يمكن أن يكون عليه عمر الإنسان في بلاد فقيرة وبلاد غنية .

أولاً : ما يمكن ان يكون عليه عمر الإنسان في بلاد فقيرة :

١ ـ افريقيا	٤٥ عاماً
٢ ـ آسيا	٥٤ عاماً
٣ ـ امريكا الجنوبية	٦١ عاماً

ثانياً : ما يمكن ان يكون عليه عمر الإنسان في بلاد غنية :

١ ـ الإتحاد السوفييتي	٧٠ عاماً
٢ ـ الولايات المتحدة	٧١ عاماً
٣ ـ اوربا	٧١ عاماً

ومن تأثير الجوع على أطفال العالم الثالث نجد أن ٢٢ مليون طفل من بين ١٢٢ مليوناً يصابون بأمراض السعال الديكي والإسهال قبل بلوغهم السنة الأولى . وفي افريقيا يموت $\frac{1}{7}$ الأطفال قبل بلوغ السنة الأولى . وقد أعلن تقرير ندوة التغذية بروما ان ١٠٠ الف طفل بالشرق الأقصى يشكون العمى لنقص فيتامين (أ) . هذا ويرجع نقص الغذاء في دول العالم الثالث إلى أن العالم الغربي يفضل البروتينات الحيوانية عن البروتينات النباتية التي تتغذى عليه الماشية لتنتج الألبان واللحوم بينما لا يجده أبناء العالم الثالث (٨٦) .

وتشير الدلائل إلى وجود علاقة بين سوء التغذية والتأخر الدراسي (Tizurd 1974, Pichardison Birch, Grubie, 1972) وقد قام العديد من البحوث بدراسة أثر سوء التغذية على :

(١) نمو المخ .
(٢) النمو العقلي (نسبة الذكاء) .
(٣) القدرة على التعلم .

TULIP LAIBRARY

نمو المخ : ترتبط التغذية في السنين الأولى من حياة الفرد بالتغير الفيزيقي والكيميائي والوظيفي للجهاز العصبي المركزي، كذلك يؤثر العدد المحدود من السعرات الحرارية Caloric في تقسيم الخلايا وفي العدد الكلي لخلايا المخ. كما أن سوء التغذية بعد الفطام يؤدي إلى انخفاض حجم خلية المخ (Winick 1973) ، كذلك فإن التغير في كيمياء المخ، ونشاطه الكهربائي يرتبط بالتغذية المبكرة. ومع هذا لم تتضح العلاقة بين عدد خلايا المخ وبين تركيبه الكيميائي والقدرة على التعلم، فانخفاض القدرة على التعلم والذي يتبع سوء التغذية قد يعتمد لا على التغير في كيمياء أو عدد خلايا المخ لكن على البلادة التي تصحب سوء التغذية وتحدد علاقة الطفل بالبيئة.

النمو العقلي : يرتبط سوء التغذية في الطفولة المبكرة بتأخر النمو العقلي كما تم قياسه بالاختبارات النفسية المختلفة حيث وجد أن ذكاء الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية ينخفض انخفاضاً دالاً عن الأطفال العاديين. هذا ويذكر موكنبرج Mockenberg (١٩٦٨) أن التأخر في اللغة يكون شديد الوضوح لدى الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية. ويؤكد كرافيوتو Cravioto (١٩٧٠) بأنه إذا كانت اختبارات الذكاء تتأثر بالثقافة فإن أحسن مقياس للنمو العقلي يتمثل في القدرة على التآزر والتكامل بين الحواس والجهاز العصبي المركزي، وبينت نتائج دراسات (كرافيوتو، جاونا Gaona ، وبيرشي Birch ١٩٦٧) أن هذه القدرة تكون متأخرة لدى هؤلاء الأطفال خاصة التآزر بين المنبهات السمعية والبصرية، وتلك القدرة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتعلم القراءة والكتابة.

القدرة على التعلم : من الدراسات التي أجريت عن العلاقة بين القدرة على التعلم وسوء التغذية لدى الأطفال تلك التي تمت في مركز بحوث الطفولة بجامعة تيولين بنيو أورليانز تحت عنوان «تأخر الأطفال الجياع في التعلم»، وقد تم قياس القدرة على التعلم باختبارات تعلم ادائية ووجدت علاقة دالة بين سوء التغذية والتأخر في القدرة على التعلم (١٦٧).

وقد قام دازن Dasen, P. R. (١٩٧٣) بدراسة عن النمو الحسي الحركي

TULIP LAIBRARY

وأثر المتغيرات الاجتماعية الحضارية مثل سوء التغذية على النمو المعرفي في السنتين الأوليين من الحياة. فقام بإعطاء ٥٥ طفلاً في بارلي Baoule نصف المقدار المتطلب من السعرات والوحدات الحرارية والبروتينات، وفي نفس الوقت كانت عمليات الأيض (الهدم والبناء) لديهم عادية. وطبقت عليهم اختبارات بياجيه الحسية الحركية فوجدت اختلافات طفيفة بينهم وبين العينة الأوروبية رغماً من الفروق الكبرى بين الحضارتين، ويشير ذلك إلى أن النمو الحسي الحركي يعتمد أساساً على تغذية المخ (١٦٨).

وقد قام داوسون Dawson, J. L. (١٩٦٧) بدراسة عن أثر النواحي الفسيولوجية والثقافية على عمليات الإدراك المكاني في جنوب افريقيا. وكان الفرض الذي اهتم داوسون باختباره يتعلق بأثر حضارة القبيلة Tribal Culture في سيراليون، ومرض نقص البروتين على المهارات الخاصة بالإدراك المكاني. فطبق اختبارات المكعبات وإدراك الصور، واختبار منسوتا على عينات من الأفريقيين، وأيدت نتائج التحليل العاملي للارتباطات بين الاختبارات الفرض السابق طرحه (١٦٩).

وقام جوثري Guthrie (١٩٧٦) وآخرون بدراسة ٥٦ طفلاً تقع أعمارهم بين ٦ ـ ٣٦ شهراً في قرية جبلية بالفلبين. فوجدوا أن ١٠٦ طفلاً منهم مرضى لم يستطيعوا الاستجابة على الاختبار العقلي لمقاييس بيلي Bayley للنمو، وأن ١٥ خمسة عشر حصلوا على درجات منخفضة بسبب سوء التغذية. واتضح أن الأداء المنخفض كان جزءاً من الصورة الكلية حيث بذلت جهود كبرى لمنع الأطفال من البكاء والصراخ بإعطائهم جرعات من الطعام المشبع بالسكريات، وحملهم معظم الوقت حتى يمكن ملاحظتهم واختبارهم (١٧٠).

وتشير دراسة كابلان Kaplan, B. J. (١٩٧٢) أن عدم كفاية التغذية يؤثر في كل من النمو الفسيولوجي والنفسي. إذ تعتبر شهور الحمل التسعة، والسنوات الأولى من الحياة من أحرج الفترات بالنسبة لنمو نسيج المخ، وقد أيدت هذه الدراسة علاقة سوء التغذية بالضعف العقلي (١٧١).

TULIP LAIBRARY

كما قام مونكبرج Monckeberg (١٩٧٢) وآخرون بمقارنة مجموعة من الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية في المناطق المختلفة بمجموعة من اطفال الطبقة المتوسطة فلاحظوا تأخراً في النمو الحسي الحركي لدى أطفال المناطق المتخلفة والتي ارجعت لانخفاض تناول هؤلاء الأطفال للبروتين الحيواني Animal Protein وأكدت النتائج أثر سوء التغذية في النمو العقلي (١٧٢).

وقد اجرى بولت وجرانوف Pollitt. E. & Granoff D. (١٩٦٧) دراسة على ٢٧ طفلاً في المناطق الفقيرة في مستشفى للعلاج في ليما بدولة بيرو، وكان هؤلاء الأطفال يعانون من سوء التغذية ونقص سعرات البروتين فطبقوا عليهم مقياس بيلي Bayley للنمو العقلي، ومقياس بيلي للنمو الحركي، وكان مدى عمر الأطفال من ١١ - ٣٢ شهراً بمتوسط ١٩,٤ شهراً. فوجدا في النتائج ان اثنين من الأطفال حصلا على درجات أعلى من المستوى القاعدي للمقياس. كما وجد لدى البعض تأخراً حركياً وعقلياً رغماً من شفائهم جسمياً، وظهر كذلك تحسناً في درجة النمو الحركي نتيجة لاستمرار وجودهم بالمستشفى (١٧٣).

وقد قام شتين Stein. Z. (١٩٧٢) وآخرون بمقارنة الأداء العقلي لـ ١٢٥٠٠ من الذكور متوسط عمرهم ١٩ عاماً، ولدوا في الفترة من ١٩٤٤ - ١٩٤٦، ويعيشون في سبع مدن مطحونة من القحط Famine - Stricken City في جنوب هولندا. قورنوا بالأداء العقلي لمجموعة من الذكور، ولدوا في نفس الفترة في مدن لم تتأثر بالقحط. وأشارت النتائج إلى وجود علاقة قوية بين الطبقة الاجتماعية والأداء العقلي (١٧٤).

الذكاء والقدرات والفقر: يحصل الأطفال والشباب الذين يأتون من طبقات اجتماعية اقتصادية منخفضة على نسب ذكاء اقل من هؤلاء الذين يعيشون في طبقات متوسطة أو عالية بما يتراوح بين ٢٠ - ٣٠ درجة. ويعتقد بعض السيكلوجيين أن هذه الفروق راجعة لعوامل خاصة بالوراثة وان المستوى الاجتماعي الاقتصادي يكون دوره جزئياً. في حين أن العلماء

TULIP LAIBRARY

السلوكيين يؤيدون التفسير البيئي لتلك الفروق بين المجموعات . وهناك الكثير من العوامل البيئية التي تؤدي إلى الفروق في نسبة الذكاء بين الفقراء وغيرهم . كالظروف الطبيعية ، وعدم العناية الخاصة بالأم قبل ولادة الطفل أي أثناء الحمل ، وسوء التغذية وكل ما يؤدي إلى التسمم والمرض والتي تكون واضحة لدى الأسر المنخفضة الدخل عن غيرها من الأسر العالية الدخل . وان عملية تأثير المناخ النفسي الاجتماعي للفقر على الذكاء ، فتحت باب النقاش لوجهات النظر الأربعة التالية ، والتي يبدو أنها متداخلة بعض الشيء :

١ ـ يرتبط الفقر بالزحام والضوضاء والفوضى و بظروف الشدة والمعيشة المتغيرة Changing Living Conditions . ونحت مثل هذه الظروف يكون الصغار من الفقراء اقل احتمالاً ان يتعرضوا للتعرف على معلومات جديدة مثل اقرانهم في الطبقات الأخرى ، او ان يعرفوا النظام مثلهم ، او ان يتعلموا أن سلوكهم له آثار ونتائج معينة . ويبدو ان تلك الأنشطة : المعلومات ، النظام ، والتعلم ذات أهمية في تنمية الذكاء .

٢ ـ ان الصغار الذين ينتمون لمستويات اجتماعية اقتصادية منخفضة يستمعون لكلمات وافكار ونواح لغوية اقل مما يؤدي ذلك إلى الحد من التفكير والذكاء .

٣ ـ إذا كان الوالدان غير اصحاء ، وتغذيتهم سيئة ، وكثيراً ما يتعرضون للتعب والاجهاد في عملهم ، فإنه من غير المحتمل ان يجدا الوقت لمساعدة ابنائهم على تنمية قدراتهم وإذا كان الوالدان لديهم الرغبة لمساعدة ابنائهم فإنهما لن يعرفا كيف يكون ذلك لأن تعليمهما محدود وقدراتهما عاجزة .

٤ ـ عندما يختلط الأطفال من الطبقة المنخفضة مع بعضهم بعضاً في الأسرة فإن كل طفل سيكون نصيبه تنبيهاً ذهنياً محدوداً من جانب الراشدين وكبار الأطفال . ولذا نجد أن الأطفال الذين ينتمون لأسرة كبيرة الحجم يحصلون على درجات ذكاء اقل من الأطفال في الأسر الأصغر .

TULIP LAIBRARY

وقد وجد العالمان رك هبر Rick Heber وهوارد جاربي Howard Garbee بعد المسح الذي أجري على حي ملويكي Milwaukee للفقراء، ان الأمهات الحاصلات على درجة ذكاء اقل من ٨٠ ونسبتهن ٤٥,٥٪ من العينة يرعين ٧٨,٢٪ من أطفال نسبة ذكائهم اقل من ٨٠. ولقد حاول هذان العالمان افتراض إمكانية منع التأخر في الذكاء فوضعا مشروعاً سمي مشروع ملويكي M. Project شمل أربعين من الأمهات نسبة ذكائهن اقل من ٧٠. وقسموهن عشوائياً إلى مجموعتين إحداهما تجريبية والأخرى ضابطة، وعندما كانت الأم تعود من المستشفى بمولود جديد كان البرنامج العلاجي الذي يتضمنه المشروع يبدأ. فتعرضت الأمهات في المجموعة التجريبية لتدريب مهني وتدريب على الأعمال المنزلية الصحيحة، وتدريب على كيفية العناية بالرضيع. كما ان اطفالهن قد تعرضوا هم الآخرون لعمليات من التنبيه الحسي وتعلم اللغة والقدرة على التفكير. وفي خلال مرحلة عمر ما قبل المدرسة تعلم الأطفال مهارات معرفية تضمنت اللغة في جماعات صغيرة، كما وجه الانتباه والاهتمام لنواحي القوة والضعف لدى الصغار. هذا بينما ترك الأطفال في المجموعة الضابطة للظروف العادية ما عدا المواقف التي تضمنها البرنامج العلاجي للمشروع. وفي سن الخامسة والنصف كانت الفروق بين المجموعتين مثيرة إذ وصلت نسبة ذكاء الصغار في المجموعة التجريبية ١٢٤ درجة وفي المجموعة الضابطة ٩٤ درجة بفرق ثلاثين درجة. وفي الدراسة التتبعية عند سن التاسعة وكان برنامج المجموعة التجريبية قد انتهى وجدا ان المجموعة التجريبية اصبحت اعلى بعشرين درجة عن الضابطة اي ان الذكاء فيها قد انخفض لتوقف التدريب. والسؤال المطروح هو إلى اي مدى تدوم مثل هذه النتائج بانتهاء التدريب؟.

ولقد فسر بعض العلماء السلوكيين نتائج أثر البرامج التعليمية على نسبة الذكاء بقولهم إن الأطفال ذوي المستويات الاجتماعية الاقتصادية العالية يبدأون الدراسة في المدرسة ولديهم الأساس العقلي القوي إذ يكونوا قد تعلموا بعض الواجبات المدرسية الأولية مثل تذكر الأعداد والحروف

TULIP LAIBRARY

الهجائية . وتكون لديهم الفة عن كيفية التعلم كالاستماع ، والجلوس بهدوء ، واطاعة أوامر أولي السلطة ، في حين ان أطفال الطبقة المنخفضة لا يكتسبون مثل هذه المهارات فتبدو القواعد والنظم المدرسية غير واضحة بالنسبة لهم .

وفي نهاية الأمر نستطيع القول بانه لا يمكن ارجاع الفروق في الذكاء للفروق الاقتصادية دون أن نلفت النظر إلى أن الأطفال الذين يأتون من أحياء فقيرة لا يكون موقف اختبار الذكاء نفسه مألوفاً بالنسبة لهم . فهم لا يألفون التعليمات ولا المواقف التي تتضمنها الأسئلة . فمثلاً يتردد سؤال في أحد اختبارات الذكاء وهو : ماذا تفعل لو ذهبت لشراء شيء ما من محل البقالة ولم تجد هذا الشيء؟ . إن الاجابة الطبيعية لمثل هذا السؤال هي الذهاب لمحل آخر ، لكن ما هي الاجابة عندما لا يكون في منطقة الفقراء سوى محل واحد للبقالة مثلاً والذهاب لمنطقة أخرى يعرضهم للخطر .

وقد بينت الدراسات التي أجراها الفريد بلدوين Alfred Beldwin من جامعة نيويورك أن الأطفال الذين يعيشون في بيوت تسمح لهم بمناقشة القرارات ، تكون حصيلتهم في الذكاء أعلى من الأطفال الذين يكون آباؤهم متساهلين أو غير مكترثين ، ويطلبون من أطفالهم الطاعة دون نقاش كما لو كان الأب يقول لابنه «لا تفكر» . أي ان أسلوب الوالدين في التربية والتنشئة يرتبط بذكاء وقدرات أبنائهم .

ومن الدراسات التي تؤيد ما سبق تلك التي أجريت على تلاميذ مدارس حي الإمام ، وعرب اليسار (حي من الأحياء الفقيرة بمدينة القاهرة) وتبين فيها أن ٩٪ من تلاميذ هذه المدارس قد حصلوا على درجات ذكاء اقل من ٧٠ وهي درجة تشير إلى الضعف العقلي ، وتبين أيضاً علاقة هذه النتيجة بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي لهؤلاء التلاميذ (٥٨) .

TULIP LAIBRARY

الفصل الثاني عشر

الذكاء والقدرات العقلية
في إطار عبر حضاري

مقدمة : يقع الذكاء والقدرات في إطار علم النفس المعرفي المقارن Comparative Cognitive Psychology حيث يعرف كنجستون Kingston.J.W.P. وآخرون في مقدمة كتاب «الحضارة والمعرفة : قراءات في علم النفس عبر الحضاري» اصطلاح «معرفة» Cognition بأنه يعني كل نواحي الحياة النفسية الخاصة بالإدراك والتنظيم واستخدام المعلومات المكتسبة من العالم الخارجي ويتأكد ذلك من خلال الموضوعات التالية والتي تتضمن : الثقافة والعمليات المنطقية ، والسلوك اللغوي وغير اللغوي ، والإدراك المكاني ، والذكاء ، والقدرة على التصنيف (١٨٠) .

ويذهب جورج George F.H. (١٩٦٢) في كتابه «المعرفة» Cognition إلى أن المعرفة تعني الطريقة التي بها يدرك ويتعلم بنو البشر ، والتي بها يتذكرون ويتخيلون ، وبها أيضاً تعمل عقولهم في أنشطة الحياة العادية (١٧٥) .

ويذهب نيسر Neisser (١٩٦٧) إلى أن المعرفة هي العمليات التي

TULIP LAIBRARY

تمكن الفرد من استقبال المعلومات من خلال حواسه (١٧٦). أما مورجان Morgan (١٩٧٦)، فيرى أنها مجموعة العمليات العقلية كالتفكير والإدراك والتخطيط والتذكر والانتقاء (١٧٧). ويذهب فرانكن Franken (١٩٨٢) إلى أن المعرفة تشكل التفكير والاستقبال والتجريد، وكافة العمليات التي تعين الكائن على أن ينظم بين الوارد الخارجي وبين بناء شخصيته (١٧٨).

كما يعرف كنجستون ايضاً اصطلاح الحضارة بأنه ذلك النسق من السلوك المشترك للجماعة والذي ينتقل بالتعلم من جيل لجيل (١٨٠).

ولا بد في هذا المقام ان نميز بين «المعرفة والحضارة» وبين «الشخصية والحضارة» حتى نستطيع متابعة النواحي التاريخية والمنهجية لاهتمام السيكلوجيين الحاليين بتلك الأعمال في ميدان المعرفة والحضارة والتي أهملت دراستها بعض الشيء. وفي نفس الوقت فإن ذلك يفيد في معرفة الفروق في وجهات النظر السيكلوجية والأنثربولوجية في دراسة «المعرفة والحضارة».

المعرفة والشخصية من منظور حضاري: عزل السيكلوجيون فيما مضى مقاييس المعرفة عن اختبارات الشخصية، رغماً من انه لا يوجد شك في أن علماء الشخصية الأوائل (مثل البورت ١٩٣٧ وميرفي ١٩٤٧) قد تضمنت نظرياتهم الوظائف المعرفية. وقد أدى هذا إلى وجود تقسيم في علم النفس النظري خاصة في المناهج، بين دراسة الحياة الانفعالية الاجتماعية ودراسة الحياة العقلية.

وقد نظر باتسون ١٩٣٦ إلى هذا التميز من وجهة نظر الباحث الميداني في الأثنوجرافيا Ethnographic أي علم الأعراق البشرية مقدماً اصطلاحين خاصين بهذين الجانبين:

الأول المزاج Ethos، والثاني العقل Eidos، وعرف الأول بأنه ذلك النسق المقنن حضارياً والذي يشمل غرائز وانفعالات الفرد، والثاني بانه تلك النواحي المعرفية المقننة من شخصية الأفراد. وكما أشار جلاودين

TULIP LAIBRARY

Gladwin فإن الأول يدرس كثيراً من وجهة النظر عبر الحضارية في حين ان الثاني يدرس هذه الوجهة من النظر بصورة اقل من ذلك بكثير من ذلك. ويشمل تعريف باتسون Bateson للعقل تلك النواحي المعرفية المتضمنة في الشخصية بمعناها الأوسع من منظور علماء نظريات الشخصية الأول. أما والاس Wallace (١٩٧٠)، فقد نظر للتنظيم المعرفي للفرد في إطار نظرته للشخصية والحضارة كما عند هونجمان Honigmun (١٩٦٧).

تلك الاتجاهات الحديثة لدى الأنثربولوجيين للنظر لنمو السلوك في الوسط الحضاري نظرة متكاملة لا تمثل جديداً لعلماء النفس.

النواحي التاريخية: من السيكلوجيين الذين اهتموا بدراسة الذكاء والقدرات والجوانب المعرفية في إطار حضاري مكدوجل، وودورث، وفوندث وبارتلت. أما الأنثربولوجيون الذين شغفوا ايضاً بالبحث في الموضوع فكان على راسهم ريفرز Rivers، وبواز Boas، ونادل Nadel. وقد قام الفريقان بدراسات تشبعت بكل من الاتجاه النفسي والأنثربولوجي. وتوجد اربع مقالات تصور لنا تلك الأعمال المبكرة هي:

١ ـ الأولى لكل من ريفرز، ومكدوجل والتي اهتمت بالعمليات الحسية والإدراكية في المحيط الحضاري الدخيل أو الغريب Exotic Cultural Setting.

٢ ـ والثانية لبواز Boas والتي اختصت بالمضمون الحضاري والنمو العقلي.

٣ ـ والثالثة لفوندث حيث قدم فيها بحثاً عن الأساس العقلي للتطور الحضاري.

٤ ـ والرابعة الفها ليفي بريل Levy Brull واعتنت بالتصورات الخاصة بهوية العمليات العقلية في الجماعات البشرية.

ريفرز: وفي هذا الصدد لا بد من ان يذكر ذلك العمل الضخم الذي قام به الأستاذ هادون A.C.Hadden في جزر توريز ستريتس Torres Straits

TULIP LAIBRARY

Islands (تقع بين أستراليا وغينيا الجديدة) في عام ١٨٩٩ ، والذي تمثل في قيامه بعمل ميداني في هذه الجزر ، واتصاله بالناس هناك ، وجمعه معلومات مثلت الكثير بالنسبة للسيكلوجيين في الميدان .

وقد اختير دكتور ريفرز W.H.Rivers ليكون مسئولاً عن الدراسات الفسيولوجية والسيكلوجية وعاونه فيها مايرز Myers ، ومكدوجل Mc.Dougall ، وسليجمان Seligmann . وقد ناقش ريفرز (١٩٠١) في مقدمة مقالته كثيراً من مشكلات البحوث مثل: الإطار الحضاري، مشاكل الاختبارات والقياس في هذا الإطار، والتغيرات التي يتم إجراؤها في الاختبارات لتتناسب والظروف المحلية ، ومشكلات العينات في المجتمعات المحلية . وقد شعر ريفرز بأنه مجبر على القيام بتقديم ملاحظتين اعتداريتين تتعلق بهذا العمل حيث ذهب إلى القول:

١ - إنه خائف لأن الناحية الإستنباطية من التجريب النفسي كانت غائبة كلية من أعمالنا .

وقال أيضاً:

٢ - إنه من الضروري أن نذكر أن معظم ملاحظاتنا على الشباب قد أجريت تحت تأثير التدخين (التوباكو) .

وقد قام فريق ريفرز بعدد كبير من الملاحظات عن الذاكرة والوظائف الإدراكية في الأبصار وفي السمع وفي الشم وحساسية الجلد. وكان هدف هذه الملاحظات إجراء المقارنات للكشف عن أي هذه الظواهر السيكلوجية الأساسية يكون مختلفاً اختلافاً كبيراً بين هؤلاء الناس غير العاديين. وقد وضعت ملاحظاتهم إلى جانب البيانات والمعلومات المستمدة من الدراسات السابقة في بريطانيا ، ومن دراسات سليجمان Seligmann المتطابقة معها ، والتي أجريت على سكان شاطىء بابيوا Papua Coast شمال جزر توريز ستريتس . وبعد ذلك قام ريفرز (١٩٠٥) بوضع هذه البيانات والمعلومات إلى جانب تلك التي جمعها من أعماله في جنوب الهند عن سكان تودا Todu People ،

TULIP LAIBRARY

وبهذه الصورة اتضحت له الرؤية المقارنة .

وبالنظر إلى هذه البيانات مجتمعة ، يتبادر إلى الذهن سؤال هو ما الذي توصل إليه فريق ريفرز من خلالها؟

وبالنسبة لحدة الأبصار والذي ذهب الباحثون السابقون إلى انه يكون اعلى لدى غير الأوربيين اشار ريفرز إلى انه رغم تفوق البدائيين واتصاف المتحضرين بحدة الأبصار عن الأوربيين العاديين، إلا ان ذلك ليس بدرجة بارزة ملحوظة . وبسبب هذه التقارير الأولى وضع ريفرز تمييزاً بين التفوق في حدة الأبصار وبين «قوة الملاحظة المعتمدة على عادة مشاهدة وتمييز اي إشارات دقيقة صادرة من عضو الحس». كما اضاف ريفرز: «إلى انه بالمران الطويل المستمر في مشاهدة التفاصيل الدقيقة في المحيط المألوف للفرد يكون الإنسان البدائي قادراً على ان يرى ويتعرف على الأشياء البعيدة بطريقة تبدو خارقة ، لكن به من الشكوك فيه ان تكون قوته البصرية متفوقة على تلك التي لدى الأوربي».

وقد اكدت "ملاحظات على التوداس The Toda" ما سبق حيث لا يوجد فرق في حدة الأبصار بين البدائيين والمتحضرين .

وهكذا فعلى الرغم من ان ريفرز اشار إلى وجود تفوق ضئيل في حدة الأبصار لدى غير الأوربيين ، فإنه قبل وجهة النظر بانه بالمشاهدة الكثيرة للتفاصيل الدقيقة فإنهم يصيرون ذوي مهارة أكبر في الأبصار . ولم يكتف ريفرز بذلك في تحليله بل ذهب إلى ان هذا التأكيد على الجانب الحسي يشير إلى غلبة العيانية Concrete في التفكير لدى غير الأوربيين ، كما يعتبر التدقيق في التفاصيل من هذا النوع لدى غير الأوربيين إعاقة لنمو العمليات العقلية العليا .

ومن المعروف أن النمو الذهني يعتمد على ما يتم التزود به من الحواس ، ولذا قد يبدو للوهلة الأولى غرابة ان مد الجانب الحسي للحياة العقلية يكون عائقاً للنمو الذهني ، لكن لكثير من الاعتبارات لا يوجد شيء

TULIP LAIBRARY

غريب بالنسبة لهذه الحقيقة. إذ أنه إذا أنفقت أو استهلكت طاقة أكثر في الأداء في الجانب الحسي فإنه من الطبيعي أن تعاني من ذلك العمليات العقلية العليا أي يكون ذلك على حساب تلك القدرات. وقد يبدو من الممكن بالتالي أن تكون زيادة النمو في الجانب الحسي للحياة العقلية عاملاً مساعداً في ظهور خصائص أخرى لدى العقل البدائي. ويقول ريفرز إنني أظن أن الرجل البدائي لا توجد لديه اهتمامات جمالية بما حوله في الطبيعة مثلما لدى الرجل المتحضر، فالخبرة تشير إلى أن الاهتمام المسبق لدى البدائي نحو الأشياء العيانية تعوق نمو العمليات العقلية لديه. وقد أشار ورنر (١٩٤٠)، وبرايس، ويليامز (١٩٦٢) إلى ذلك بين الجماعات الحضارية. إلا أن هذه الحقيقة رفضها تشنز (١٩١٦) لعدم كفاية الاختبارات من حيث أهدافها، ورأى ضرورة قيام تعاون بين البحوث المعملية والميدانية. ومن الضروري في الاختبارات التي تستخدم في هذه البحوث أن تكون قادرة على الأداء في وقت قصير نسبياً وأن تكون الأجهزة سليمة ودقيقة وتكون بسيطة التناول ورخيصة الثمن.

بواز: اهتم بواز Boas ببلورة آرائه السيكلوجية في كتابه (١٩١١) عن «عقل الإنسان البدائي» حيث تناول فيه موضوعات مثل: السمات العقلية للرجل البدائي، والرجل المتحضر، وبعض سمات حضارة البدائي.

وقد أكد في آرائه تلك على: خاصية امتلاك اللغة، واستخدام الأدوات، والقدرة على الاستنتاج والتي تميز الإنسان عن باقي الحيوانات، وتلك الخاصية تكمن في قدراته المعرفية أكثر من حياته الانفعالية والدافعية.

وعن كيفية اختلاف الرجل البدائي بالنسبة للرجل المتحضر يقول بواز: إن تفكير وأعمال الرجل المتحضر، كذلك ما نجده لدى أكثر صور المجتمعات بدائية يشير إلى أن العقل في مختلف الجماعات يختلف في استجاباته عندما يتعرض لنفس الأحوال والظروف.

وفي هذا الصدد فإن أهم ما يميز استجابات البدائي النقص في

TULIP LAIBRARY

العمليات المنطقية، وفي القدرة على ضبط الإرادة، وكذلك الأمر بالنسبة لتكوين الآراء والمعتقدات فإنه ينقصهما الأساس المنطقي وذلك لتشبع الآراء لديهم بالعامل الانفعالي والذي يكون المحرك الرئيسي للعقل.

ويذهب بواز إلى أن هذا الاختلاف يكون في المحتوى Content وليس في العملية Process . إذ من المعلوم أن هناك تفسيرين للمظاهر المختلفة لعقل الإنسان. فقد تظهر العقول التي تنتمي لسلالات مختلفة فروقاً في التنظيم، أي أن قوانين النشاط العقلي ليست هي نفس الشيء بالنسبة لكل العقول. لكن قد يتشابه أيضاً تنظيم العقل عملياً لدى كل سلالات الإنسان، أي أن النشاط العقلي يتبع نفس القوانين في كل مكان، لكن مظاهره تعتمد على خبرة شخصية الفرد والتي تخضع لفعل هذه القوانين.

فوندت: أضاف فوندت Wundt إلى إسهاماته في علم النفس التجريبي والفسيولوجي فيما بين أعوام ١٩١٢ - ١٩٢١ عشر مجلدات في علم نفس الجماهير Folk Psychology . ولم يكن الأمر لدى فوندت كما كان لدى بواز الذي أكد على سياق ومحتوى النمو العقلي، بل إن فوندت أكد على الأساس العقلي للنمو والارتقاء الحضاري.

فذهب فوندت إلى وجود تفسيرين كبدائل بالنسبة للقدرة العقلية المنخفضة. الأول يختص بالطبيعة المحدودة للرغبات والحاجات، فالرجل البدائي يعيش في غابة مليئة بالطعام والفاكهة ليأكل، وبالمواد الخام ليعد ملابسه ويبني كوخه. ومن ثم فإنه يفتقر للدافع للكفاح من أجل أشياء أخرى إلا هذه الوسائل البسيطة لإرضاء رغباته. فهو لا يبحث عن شيء أكثر من ذلك، فهو إما يجد كل ما يحتاجه في بيئته أو أنه يعرف إنتاج هذه الحاجات من المواد الخام المتاحة له. والبديل الثاني في نظر فوندت يتمثل في ثبات الظروف لطول العزلة. وقد ذهب فوندت مثل بواز إلى اعتبار هذه النواحي نقصاً ذهنياً. وأشار إلى أن ما يمتلكه الرجل البدائي من النواحي الذهنية مساو تقريباً لما يمتلكه الرجل المتحضر، لكن الرجل البدائي يدرب قدراته في حدود ضيقة، وبالتالي فإن أفقه ضيق نتيجة وجوده تحت هذه الظروف.

TULIP LAIBRARY

وبهذا فإن فوندت يتفق مع بواز في أن السياق الحضاري والبيئي ومحتوى الذهن يعطي أساساً كافياً لاختلاف الفرد وسلوك الجماعة.

ليفي بريل: وجاء ليفي بريل Lucien levey-Bruhl ليتناول ما تناوله بواز وفوندت في كتابيه: كيف يفكر الناس عام ١٩١٠، والعقلية البدائية[٥] عام ١٩٢٣. ويذهب ليفي بيرل في افكاره إلى أن: العمليات العقلية لدى البدائيين لا تتطابق مع تلك لدى المتحضرين.

ويضيف ليفي بيرل إلى ان البدائيين لا يدركون بنفس الطريقة التي ندرك بها. فالوسط الإجتماعي الذي يحيط بهم يختلف عن ذلك المحيط بنا، ونظراً لذلك فإن العالم الخارجي الذي يدركونه يختلف عن عالمنا. ومما لا شك فيه فإنهم لديهم نفس الحواس التي لدينا بل إن حواسهم أكثر حدة من حواسنا، كما أن لديهم نفس الجهاز العصبي. ومهما كانت الأشياء التي تعرض أمام عقولهم، فإن المحتوى المتضمن فيها محتوى عيني خرافي كلية.

وبالنسبة للعمليات العقلية ذهب ليفي بريل إلى أن تفكير «البدائي» تفكير «قبمنطقي» Prelogical ولم يعتبره تفكيراً غير منطقي Antilogical، فهو يختلف فقط عن قوانين تفكيرنا المنطقي.

الموضوعات الكبرى في بحوث الحضارة والمعرفة: مرت الأعمال المبكرة لمشكلات الحضارة والمعرفة (العمليات المعرفية) بالاهتمام أولاً بالعمليات الحسية والإدراكية، ثم مناقشة العمليات العيانية والمجردة والتفكير «القبمنطقي». أما الموضوعات الكبرى التي تعكس الأعمال المستمرة للباحثين فهي تتبلور من خلال التساؤلات التالية:

أولاً: هل طبيعة الخبرة الحضارية تعبر أو تشكل العمليات المعرفية، أي هل الأشخاص الذين يعيشون في مجتمعات مختلفة يمتلكون عمليات معرفية تتناسب مع وسطهم الحضاري؟. ويتصل بذلك تساؤل آخر هو: ما

---

(٥) ترجم هذا الكتاب إلى العربية الدكتور محمد الغماص وراجعه الدكتور حسن الساعاتي. قسم الترجمة بالإدارة العامة للثقافة - وزارة التربية والتعليم، مكتبة مصر بالفجالة.

هي العلاقة بين النواحي الغالبة والسائدة من العمليات المعرفية لدى فرد ما وبين النواحي الحضارية المفضلة(*). ورغماً من انه لا توجد فروق في العمليات المعرفية الممكن استخدامها فإن عمليات معينة تستخدم فعلاً (باستثناء الأخرى)، وهذا يعني ظهور فروق كيفية واضحة في العمليات المعرفية.

ثانياً: هل توجد فروق كمية في العمليات المعرفية لدى الجماعات الحضارية المختلفة؟. هل بعض الجماعات تكون أكثر مقدرة، وأكثر كفاءة فيما لديهم من عمليات معرفية؟.

ومهم جداً ان نتساءل: يكونون أكثر مقدرة في ماذا؟. وأكثر كفاءة في ماذا؟، وأكثر ذكاء في ماذا؟.

وهنا تظهر الأسئلة التي تعكس النواحي الحضارية والعرقية (السلالات): هل التفكير المنطقي والمجرد(**) أحسن من التفكير القبمنطقي والعياني؟. وهل توجد مقاييس نقية حضارياً اي لا تتأثر بحضارة ما لقياس العمليات المعرفية والذاكرة وغيرها؟.

ثالثاً: هل خصائص نمو العمليات المعرفية كمية كانت او كيفية متشابهة لدى كل الجماعات الحضارية فإذا كانت تخضع لعمليات النضج فإننا نتوقع وجود اختلافات عبر حضارية قليلة، أما إذا كانت نتيجة للنواحي الحضارية فإننا نتوقع وجود أوجه شبه قليلة عبر الحضارات.

وهذه الأسئلة الثلاثة السابقة لا زالت تواجه السيكلوجيين حتى اليوم، وهي تتضمن موضوعات أكثر تعقيداً مما يصوره العرض السابق لها. ومما يشير لذلك ان الكثير من البحوث قد حاولت الإجابة عن الأسئلة السابقة إلا ان الإجابات المقدمة كانت إجابات غير واضحة.

(*) اي هل تفضيل الفرد لنواحي معينة في حضارته (كالصيد او القراءة - او الفروسية - او التجارة - او السياسة) يرتبط بوجود عمليات معرفية مرتفعة وسائدة لديه.

(**) كذلك الذي يتضح في اختبار المتشابهات في مقياس وكسلر بلفيو للذكاء.

النواحي المنهجية في دراسة المعرفة والحضارة: يطرح السؤال الآتي نفسه منذ بداية الكلام عن النواحي المنهجية الخاصة بالعمليات المعرفية في إطار حضاري وهو: لماذا يهتم السيكلوجيون بدراسة الوظائف المعرفية في مواقف حضارية مختلفة؟ . وتتضح الإجابة في أن الدراسات النفسية المعرفية المقارنة لا تهدف إلى الكشف عن أي الأشخاص يكون ماهراً، وايهم يكون انيقاً او ذكياً وايهم لا يكون كذلك، وان الأهداف التي تسعى الدراسات المعرفية المقارنة التوصل إليها هي:

(١) يحاول علم النفس المعرفي المقارن Comparative Cognitive Psychology فهم العمليات المعرفية، ومداها، والفروق فيها كنتيجة للمتغيرات الحضارية.

(٢) كذلك يحاول علم النفس المعرفي المقارن فهم التشابه والتماثل في العمليات المعرفية عبر الحضارات.حتى يكون التعميم صادقاً.

(٣) محاولة اختبار الفروض والقوانين التي تم التحقق منها في أحد الحضارات، في حضارات اخرى للكشف عن مدى تطبيقها وعموميتها.

الأدوات: وللتوصل للأهداف السابقة يجب ان يتبنى السيكلوجيون استراتيجية للبحث، ومجموعة من طرائقه، خاصة تلك الأدوات والتي تثار حولها ثلاثة اسئلة من أجل تحقيق الأهداف السابقة، وهذه الأسئلة هي:

(١) متى نقارن؟

(٢) ما المدى الذي يقارن؟

(٣) كيف نقارن؟

وقد أجاب على السؤال الأول كل من ديوجكر Duijker وفريجيدا Frijda (١٩٦٠)، جاهودا Jahoda (١٩٦٦) إذ قالوا إن المقارنة تكون ممكنة فقط عندما يكون هناك تماثل في الأبعاد Dimensional Identity اي انه عندما يجمع سلوكان على بعد واحد فإنه يمكن ربطهما ببعض من أجل المقارنة مثلما نقارن البرتقال بالتفاح. واضاف كامبل Campbell (١٩٦٤) إلى انه

عندما يوجد التماثل أو التشابه الإدراكي Perceptual Similarities فإن الفروق في الإدراك بين الجماعات يكون لها معنى ويمكن تفسيرها، لأنه من غير الممكن أساساً أن تكون المقارنة صادقة إذا كان هناك العديد من التفسيرات البديلة (مثل عدم الكفاية الحسية أو فشل الاتصال) التي لا يمكن أن تكون واردة في البحث. وبعد ذلك فإن المقارنة على أساس عملي للوظائف المعرفية بين الحضارات تعتبر قاعدة عامة شملت المنبه، والكائن الحي، (البعد الواحد) والتفاعل بينهما.

وقد كانت هذه القاعدة العامة أي البعد الواحد أساس البحث أيضاً في الجانب البيولوجي للوحدة النفسية لبني البشر (كروبر ١٩٤٨، والاس ١٩٦١)، وفي إثبات عالمية الحضارات وبصرف النظر عن أصلها أو أصولها فإن البعد الواحد يكون أساسياً، لأن المقارنة الصادقة تتم فقط عندما توجد مثل هذه الاستمرارية.

أما فيما يتعلق بالسؤال الثاني الخاص بعدد العناصر التي يجب أن تكون في المقارنة فإنها لاقت في العادة اهتماماً ضئيلاً من السيكلوجيين. إذ تضمنت المقارنات النموذجية عنصرين فقط، واللذان يكونان في الغالب جماعة حضارية غربية وأخرى غير غربية.

وفيما يتعلق بالسؤال الثالث الخاص ببنية أو نظام إجراء المقارنات السلوكية عبر الحضارات (أي كيف نقارن كما جاء في السؤال الثالث) فقد عالج بري Berry (١٩٦٩) هذا الموضوع، كما اقترح العديد من المحكات والأدوات الناجمة،

(١) التماثل في الوظيفة.
(٢) التماثل في المفاهيم.
(٣) التماثل في القياس.

وكل منها يتم ضبطه وتطويره وفق سياق ونظام المقارنة وقد ذهب جولد شميدت Gold Schmidt (١٩٦٦) إلى أن مقارنة خواص الحضارة المختلفة

تتم عندما تكون متعلقة بمشكلات متماثلة وظيفياً، بمعنى أن المقارنة الصادقة تكون بين مؤسستين في نظامين حضاريين اجتماعيين يواجه كل منهما مشكلات متماثلة يحاول إيجاد حلول لها.

وبالنسبة للسيكلوجي الذي يهتم بإجراء المقارنات السلوكية عبر الأنظمة الحضارية الاجتماعية المختلفة لا بد له من أن يتأكد من وجود تماثل وظيفي Functional Equivalence قبل المقارنة حتى لا يواجه بأشكال سلوكية مرتبطة ببعضها(*)، أو بأهداف لا علاقة بين بعضها البعض.

ويتم تحديد التماثل الوظيفي من خلال الكشف عن هدف السلوك الذي تتم دراسته، ومن خلال أسلوب المقارنة المستخدم (بيري ١٩٦٩) والذي يتفق مع الأهداف الأساسية الثلاثة التي سبقت الإشارة إليها وهي:

١ ـ نقل واختبار الفروض الحالية الموجودة فعلاً.
٢ ـ الكشف عن أية اختلافات جديدة.
٣ ـ المقارنة من أجل التوصل لفروض أو قوانين عالمية.

وكان بايك Pike (١٩٦٦) أول من درس الفروق الأساسية التي تتفق وهذا الإطار وطوره فرنش French (١٩٦٣). ويختص هذا (أي دراسة الفروق) بالتمييز بين الصوتيات Phonetics، أي ما يتعلق بالأصوات الكلامية المنطوقة، فالأصوات عند المتحدث تتكون من منطقة الجهاز الصوتي وما يتضمنه من الوترين الصوتيين واللسان والشفتين، وبين الوحدات الصوتية Phonemics أي دراسة اللغة باعتبارها رموزاً صوتية فحرف السين وحدة صوتية، وحرف الصاد وحدة صوتية، وتعتبر كل من هاتين الوحدتين الصوتيتين

(*) تطقوس الاحتفال بوفاء النيل مثلاً لا يمكن مقارنتها مع ثقافة أخرى لأنها لا تحدث إلا في مصر. وتقاليد الاحتفال بالمولد النبوي لا يمكن مقارنتها إلا بثقافة عربية تحتفل به وليس بثقافة أمريكية أو هندية. وكذلك فإنه من المعروف أن مصر تختلف عن بريطانيا في النظام الاقتصادي، وإذا كان بيع القطاع العام في بريطانيا يمثل تجربة ناجحة فإنه لا يعني ذلك بالنسبة لمصر فلا يصح المقارنة بينهما في هذه الناحية.

(س ، ص) رمزين مختلفين في العربية لو تم وضع كل منهما مكان الآخر في الكلمتين الآتيتين مثلاً لاختلف المعنى : سائر ، صائر رغماً من اتفاق الكلمتين في باقي الحروف . وقد قدم بايك صياغة مبتكرة لهذين الاصطلاحين(*) فسمى الصوتيات بالحروف الاربعة الأخيرة منها وهي Etic ، وسمى الوحدات الصوتية بالحروف الاربعة الأخيرة منها وهي Emic . وتتضمن دراسة الوحدات الصوتية Emic البحث عن الأصوات المستخدمة في لغة ما ، في حين أن البحث في الصوتيات Etic يحاول التعميم من دراسة الوحدات الصوتية في لغة الفرد إلى عالم عالمي Universal Science يغطي كل اللغات . اي أن الوحدات الصوتية تكون خاصة بمجتمع معين ، في حين أن الصوتيات عالمية ولا تختص بحضارة أو مجتمع معين .

وقد تم جمع القائمة الآتية من تعليقات وملاحظات بايك (١٩٦٦) والتي توضح التميز بين الصوتيات Etic والوحدات الصوتية Emic .

أولاً : الوحدات الصوتية (الخصوصية) Emic :

١ ـ تدرس السلوك داخل النسق .
٢ ـ تدرس حضارة واحدة .
٣ ـ تكتشف البنية بواسطة المحلل .
٤ ـ المحكات تتعلق بنواح داخلية .

ثانياً : الصوتيات (العمومية) Etic :

١ ـ تدرس السلوك خارج النسق .
٢ ـ تدرس عدة حضارات وتقارنها ببعض .
٣ ـ البنية من ابداع وخلق المحلل .
٤ ـ المحكات مطلقة أو عالمية .

وتشبه وجهة نظر سترتفانتس Sturtevants (١٩٦٦) الخاصة بعلم

(*) جاء ذكر هذين الاصطلاحين في اكثر من مكان بالكتاب لتأكيد ارتباطهما بالموضوعات التي طرحت في كل مكان .

للأعراق البشرية Ethnoscience وصف السلوك أو الثقافة بوصف الخصوصية Emic .

والمشكلة تتركز في كيفية وصف السلوك بلغة تكون مفهومة بالنسبة للأفراد في حضارة ما(النظرة الخاصة بـ Emic والمتعلقة بالهدف الثاني) وفي نفس الوقت يمكن إجراء المقارنة الصادقة للسلوك في هذه الحضارة مع حضارة اخرى او اي عدد آخر من الحضارات (الهدف الخاص بـ Etic والمتعلق بالهدف الثالث). والحل المقترح (بيرى ١٩٦٩) لذلك يتضمن التطبيق الأساسي للفروض الخاصة بالسلوك بتناول مشكلة من مشاكل البحوث من بعض الجوانب، ويكون الجانب التقليدي مشابهاً للهدف الأول من الأهداف الثلاثة السابقة: وتسمى هذه بوجهة النظر الداخلية (داخل الحضارة) المرضوعة (المفروضة) Imposedetic Opproach . وعند القيام بذلك لا بد من التعرف على الأصول الحضارية الخاصة (وربما الأصول السلالية) بوجهة نظرنا، مع الإدراك والتمعن الكافي والتدقيق في اي بيانات مختلفة أو جديدة. وإذا تناولنا اي جانب من جوانب السلوك في حضارة اخرى ونعرف ان مدخلنا هذا (خارجي موضوع - عبر الحضارة) من المحتمل ان يمثل تقديراً يفتقر لفهم السلوك في ذلك النسق، فإننا نكون قد تجاوزنا العقبة الكبرى.

التماثل في المفاهيم: قدم سيرز Sears (١٩٦٢) موضوع التماثل في المفاهيم والذي يتضمن التاكيد على ان أدوات البحث (المفاهيم - الاختبارات - الأجهزة) يجب ان يكون لها نفس المعنى لدى مجموعات المقارنة. وللتوصل لذلك لا بد من ترجمة المفاهيم والأدوات إلى لغات جماعات المقارنة، والإستعانة بمفسر مستقل، فإذا تطابقت الترجمة مع الأصل أو كانت قريبة منها فإن ذلك يشير إلى التماثل بينهما، وإن وجه لها نقد من حيث وجود تفسيرات بديلة.

التماثل في القياس: ويتعلق ذلك بمقارنة النتائج بين الجماعات الحضارية المختلفة، وقد وجد أن المقارنة على أساس متوسط الدرجات غير

كاف للتوصل لمقارنات سلوكية صادقة بين الحضارات. وتوجد في هذا الصدد صورتان من صور التماثل في القياس استخدما في المقارنات الحضارية الأولى: صدق النسق الفرعي Subsystem Validation، والثاني: الصدق العاملي. وفي الأول يتم اختبار الفروض داخل الحضارة، وفي الثاني عبر الحضارات. وبهذا يتم اختبار المتغيرات على مستويين. والمثال على ذلك ما قام به بري Berry (١٩٦٦ب) حيث اختبر العلاقة بين الشدة في التنشئة الاجتماعية ونمو المهارة المكانية في وبين عينات التيمين Temne والأسكيمو Eskimo. وفي الثانية يتم معرفة التماثل بالنسبة لصعوبة الوحدات والمصفوفات الارتباطية والبناء العاملي بين عينات المقارنة.

دور المعامل وبحث الميدان: يعتبر تتشنر Titchener أول من اشار إلى التعاون، والعلاقة المتبادلة بين المعامل وبحث الميدان إذ ينظر إليهما على أنهما «مواقف بحث حضاري فرعي» Subcultural Research Settings ويمكن القول إن المشكلات الخاصة بالمقارنة وترجمة المفاهيم وأدوات البحث تكون موجودة كما هو الحال في المقارنات عبر الحضارية وبالنسبة لهاتين الاستراتيجيتين يوجد العديد من النواحي المنهجية أهمها: ضبط المتغيرات وتعميم النتائج.

ففي حين نجد أن ضبط المتغيرات يكون في حده الأدنى في بحوث الميدان، فإنه يكون في أقصاه في الموقف المعملي. ومن هذا المنطلق تعتبر الحضارات معامل طبيعية Natural Laboratory للدراسة المقارنة للسلوك إلا أنه ليس من الممكن تحديد المتغيرات «المستقلة» Independent والمتغيرات المعتمدة Dependent في مثل هذه المعامل الطبيعية فما هو مستقل في دراسة قد يكون معتمداً في دراسة أخرى.

وبالنسبة لتعميم النتائج أيضاً فإنه لا يمكن أن تعمم النتائج المعملية على الحضارة، بل تعتبر مفيدة في توجيهه البحوث الأخرى (١١٩).